تاريخ القرآن الكريم

محمد محمود

رقم الإيداع	2017/28529
I.S.B.N	978 -977 -776 -581 - 7

بسم الله الرحمن الرحیم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب الأرباب، الذي أنزل على عبده الكتاب، وجعله تذكرةً لأولي الألباب، والصلاة والسلام إلى يوم المآب على الرسول الكريم وآله والأصحاب، وأزواجه وذريته الأطهار الأطياب،

ثم أما بعد،

إن الصورة التي بين أيدينا للنصوص والشرائع لم تكن قط الصورة الأولى التى أصابت المسلمين الأُوَل؛ حيث راعى المشرِّع الحكيم التدرُّج مع مستقبلي الدين الخاتم حتى إذا بلغوا تمام النضج الإنساني وكمال الوعي العقلي والفكري وأصبحوا قادرين على استيعاب الرسالة في صورتها النهائية أنزلها لهم، ولعل في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ

نِعْمَتِي "[1] توضيحًا لهذا المعنى وتأكيدًا عليه، هذا من جهة النقل، أما من جهة العقل فإنه مما يستحيل تصوُّره أن تتنزل كل الشرائع والنصوص جملةً واحدةً على صورتها الكاملة التامة منذ اليوم الأول، تمامًا كالوليد الذي لا يبلغ التمام يوم مولده، إنما يمرُّ بمراحل عدَّة وأطوار عديدة يصيب فيها ما يصيب من النمو والتطور حتى يصل إلى ما يصل إليه من تمام النضج، ولله المثل الأعلى، فإن القرآن والصلاة والصيام وغيرها تختلف في طورها الأول عن صورتها التي آلت إليها اليوم..

وقد مرَّ القرآن الكريم بمراحل مختلفة حتى يصل إلى أيدينا على هذا النحو؛ بدءًا من مشافهة أمين الوحي جبريل رسول الله محمدًا ﷺ بآيةٍ تلو آيةٍ منجَّمة حسبما يقتضي الحال، مرورًا بنسخ بعض تلك الآيات ما بين الرسم تارة والحكم تارة وكليهما تارة أخرى، حتى استقرَّ النص القرآني على تمامه

[1] - المائدة 3.

وكماله بالعرضة الأخيرة التى عارض فيها جبريل محمدًا ﷺ بالقرآن تامًا كاملًا.

ثم ما لبثت يد التطوير أن امتدت إلى صورة ذلك النص بتدوينه أولًا بعدما كان يُحفظ في صدور الرجال فقط، ثم جمعه بين دفتي كتاب، ثم نسخه ونقطه وشكله.

وفي الوقت ذاته بدأت تظهر حزمة كبيرة من علوم القرآن واحدًا فواحدًا مابين علوم التجويد والتفسير وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والإعراب وغيرها، حتى إننا نكاد نجزم أن الصورة التي بين أيدينا اليوم للقرآن الكريم ليست الصورة النهائية ولا التصور الأخير له؛ إذ يسعى كل المعنيين بعلوم القرآن إلى مواصلة التطوير حتى يتيسَّر على كل مسلمٍ أن ينهل من معينه بسهولةٍ ويسرٍ، ويتمكَّن عوام المسلمين من تلاوته وحفظه وفهمه والإلمام بعلومه بكيفية أكثر يسرًا عن ذي قبل.

ونحن ها هنا في هذا المبحث نسعى إلى سبر أغوار تاريخ القرآن والسير خطوة بخطوة مع النص القرآني متتبعين كلَّ مجهودٍ بُذل في تطوير صورته راجين الله أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما يعلمنا، وأن يهدينا إلى ما يحب ويتقبله منا بالقبول الذي نحب،

والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير،

المؤلف.

تعريفه:

هو كلام الله المعجز المنزَّل على رسول الله ﷺ عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبَّد بتلاوته.

المعجز: الذي عجز أهل الفصاحة والبلاغة عن الإتيان بمثله.

المنزَّل: تنزَّل في ثلاثٍ وعشرين سنة.

المنقول بالتواتر: هو نقل الجمع عن الجمع، وتمتنع معه شبهة الكذب.

المتعبَّد بتلاوته: فلا تصحُّ الصلاة إلا به.

الفرق بينه وبين الحديث القدسي:

القرآن: كلام الله بلفظ الله، المتعبَّد بتلاوته.

الحديث القدسي: كلام الله بلفظ رسول الله، ولا يُتعبَّد بتلاوته، فلا تصح بقراءته صلاة.

الحديث النبوي: هو كلام رسول الله بلفظٍ من عنده، ويكون قولًا أو فعلًا أو تقريرًا.

الفرق بين نزّل وأنزل:

عن ابن عباس أنه قال: أُنزل القرآن جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أُنزل بعد ذلك في عشرين سنة[1]، وقرأ قوله تعالى: "وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾"[2]، ويبدو الفارق واضحًا بين الإنزال جملةً واحدةً، ثم التنزيل مفرَّقًا منجَّمًا، كما توضح الآية أحد مقاصد نزوله مفرَّقًا؛ لتقرأه على الناس على مكثٍ؛ أي لتقرأه على تمهُّل، فترتِّله وتبيِّنه، ولا تعجل في تلاوته، فلا يفهم عنك .

---

[1] - على وجه التقريب، وإن كانت المدة ثلاثةً وعشرين عامًا على وجه التحديد.

[2] - الإسراء 105-106.

كيفية النزول:

لم يكن القرآن يتنزَّل على رسول الله ﷺ بالكيفية نفسها في المرات كلها، فتارةً كان يأتيه أمين الوحي جبريل في صورةٍ بشرية سواءً في صورة الصحابي دحية الكلبي أو أعرابي لا يعرفه أحد، فيتلقى محمد ﷺ القرآن منه، وتارةً كان يأتي ولا يراه أحد، ولا يشعر به أحد إلا صوتًا كصلصلة الجرس وهو أشده عليه، فَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ» قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا.[1]

---

[1] - رواه البخاري في صحيحه.

أول ما نزل:

"ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾"[1]، حتى الآية الخامسة من السورة، على أرجح الأقوال، وكان ذلك في غار حراء، والرسول ابن أربعين سنة.

آخر ما نزل:

" وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾"[2]، وكان ذلك قبل وفاة النبيﷺ بتسع ليالٍ على الأرجح.

نزول القرآن منجَّمًا:

كما لم ينزل القرآن جملةً واحدةً فهو لم ينزل بترتيب آياته،

---

1 - سورة العلق.

2 - سورة البقرة 281.

وكذلك أغلب سوره لم تنزل جملةً واحدة؛ كالبقرة وآل عمران وغيرها، وحتى من قصار السور ما نزل مفرَّقًا كالعلق والضحى، ومنها ما نزل جملةً واحدة كالفاتحة والمعوذتين وغيرها.

حتى الآية الواحدة كنت تنزل ثم تلحقها بقية إن اقتضت الحاجة ذلك.

وقد روى البخاري في صحيحه عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: أُنْزِلَتْ " **وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ** "[1]، وَلَمْ يَنْزِلْ "**مِنَ ٱلْفَجْرِ**"، فَكَانَ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلِهِ الْخَيْطَ الأَبْيَضَ وَالْخَيْطَ الأَسْوَدَ، وَلَمْ يَزَلْ يَأْكُلُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُؤْيَتُهُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدُ : "**مِنَ ٱلْفَجْرِ**" فَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ.[2]

---

[1] - سورة البقرة 187.

[2] - روا البخاري ومسلم في صحيحيهما.

نزول القرآن على سبعة أحرف:

نزل القرآن على رسول الله ﷺ على حرفٍ واحد، فاستزاد سيدنا جبريل فزاده حتى صاروا سبعة أحرف، قال رسول الله ﷺ: " أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ"[1].

والسبعة أحرف هي سبعة أوجه من القراءة تختلف باللفظ وقد تتفق بالمعنى، وإن اختلفت بالمعنى فاختلافها من باب التنوع والتغاير لا من باب التضاد والتعارض، قال ابن مسعود: "هو بمنزلة قول أحدكم هلمّ أقبل تعال".

وقد أنزل الله الأحرف السبعة تخفيفًا عن بعض القبائل وموافقةً لنطقهم وفهمهم كقوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ "[2] وفي وجه: فتثبَّتوا.

---

[1] - رواه البخاري ومسلم .

[2] - الحجرات 6.

وهـذه الأوجـه نسـخت كلهـا؛ لأن عثمـان بـن عفـان جمـع الأمة على مصحفٍ واحد وهو ما كان بلسان قريش؛ وكأن الأحـرف السـبعة كانـت مرحلـة تدريجيـة حـتى يتيسـر القـرآن لقارئيـه، فلمـا كـان نُسـخت الأحـرف جميعهـا وبقـي الحـرف الموافق للسان قريش.

وكما ثبت صحيحًا: إن القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وإن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حـرف واحـد، وذلـك أن الأنبيـاء كـانوا يُبعثـون إلى قـومهم الخاصين بهم، والنبي ﷺ بعث إلى جميع الخلق أحمرها وأسودها عربيهـا وعجميهـا، وكانـت العـرب الـذين نـزل القـرآن بلغـتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى ويعسر على أحدهم الانتقال من لغتـه إلى غيرهـا، أو مـن حـرف إلى آخـر، فالهـذلي يقـرأ (عـتى حين) يريد (حتى) هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسدي يقرأ (ألم إعهد إليكم)، والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز.

قال ابن قتيبة: ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلًا وناشئًا وكهلًا لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعًا في اللغات ومتصرفًا في الحركات كتيسيره عليهم في الدين.

نخلص من هذا كله إلى أن الأحرف السبعة كانت تدريجًا مع الألسنة التي يصعب عليها مفارقة ما اعتادت عليه حتى إذا وقر مقصود القرآن في أفئدتهم صار سهلًا عليهم تطويع ألسنتهم لمحاكاة نصه بحرفٍ واحد وهو حرف قريش.

وتجدر الإشارة ها هنا إلى أن الأحرف السبع تختلف عن القراءات السبع أو العشر، فالقراءات هي لفظٌ واحد يُقرأ قراءات متعددة كتخفيف الهمزات وإمالة المد في قراءة ورش عن نافع.

النسخ:

وهو رفع الحكم الشرعي وإثبات حكم آخر، وهو ثلاثة أنواع:

نسخ الحكم والرسم: ومنه ما جاء عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: "كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ، بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ "[1]؛ أما قولها: "وهن فيما يقرأ من القرآن" فمعناه أن التلاوة قد نسخت ولم يبلغ ذلك كلّ الناس إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ.

نسخ الحكم وبقاء الرسم: ومنه آيات الخمر: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ "[2]، لما نزلت قال قومٌ لا نسكر قرب الصلاة فنزلت: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ

---

[1] - رواه مسلم وأصحاب السنن.
[2] - النساء 43.

وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ "[1] لتنسخ حكم الآية الأولى وإن كانت باقية في كتاب الله تُقرأ ويُتعبَّد بتلاوتها.

نسخ الرسم وبقاء الحكم: ومنه ما جاء من آية الرجم في الموطأ عن عمر بن الخطاب وصححه ابن حبَّان أنه كان من القرآن آية: " الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَتَّةَ"[2] والمقصود بهما الثيِّب والثيِّبة، وهذا الحكم معمولٌ به حتى بعد نسخ اللفظ.

تدوين القرآن:

لم يكتفِ رسول الله ﷺ بحفظ القرآن في القلوب والصدور وكان يأمر بكتابته وتدوينه على رقاع الجلد ورقاق الصخور وجريد النخل وعظام أكتاف الحيوانات، وكان من أشهر كتَّاب الوحي الخلفاء الأربعة وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وخالد ابن

---

[1] - المائدة 90.

[2] - موطأ الإمام مالك.

الوليد والزبير بن العوام وغيرهم، فكان رسول الله ﷺ كلما نزلت آية يرشدهم إلى سورتها وموقعها منها فيكتبوها، وكان ﷺ حريصًا كل الحرص ألا يكتبوا عنه إلا القرآن ويأمر من كتب عنه غير القرآن أن يمحوه؛ حتى لا يختلط بأحاديثه الشريفة، وكانت هذه المخطوطات مجموعة منثورة في بيت رسول الله ﷺ، ولم تكن مجموعة في مصحفٍ أو بين دفتي كتاب.

جمع القرآن:

بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ارتدَّت بعض القبائل، فحاربهم أبو بكرٍ، فاستُشهد أكثر من سبعين من حفظة القرآن، فأشار عمر بن الخطاب على أبي بكرٍ بجمع القرآن في كتابٍ واحد؛ خشية أن يقضي حفظة القرآن نحبهم، فكلَّف أبو بكرٍ زيد بن ثابت بهذا العمل العظيم.

وأمر أبو بكر عمر وزيدًا أن يجلسا على باب المسجد ولا يقبلا آيةً من أحدٍ إلا بشاهدي عدل، فكان زيدٌ يجمع القرآن المخطوط على الرقاع والجريد والعظام، والمحفوظ في صدور الرجال شريطة أن يكون مَن حَفظه قد تلقاه مباشرةً من رسول الله ﷺ، وأن يتلوه اثنان ذوا عدلٍ.

استغرق هذا العمل عامًا كاملًا، ثم جُمعت الصحف المكتوبة في بيت أبي بكر، ثم بعد وفاته انتقلت إلى بيت عمر ثم حُفظت عند حفصة بعد وفاة أبيها.

مصحف عثمان:

بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول العجم في الإسلام بدأ الناس يختلفون في قراءتهم للقرآن، فأسرع حذيفة ابن اليمان إلى عثمان بن عفان وكان خليفة المسلمين يدعوه لإدراك الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلفت الأمم

السابقة، فأرسل عثمان إلى حفصة يسألها أن ترسل له الصحف التي لديها لينسخها نُسخًا يرسل بها إلى الأمصار، ثم دعا زيد بن ثابت وثلاثة من قريش: عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام؛ ليقوموا بنسخ الصحف على أن يردوا ما يختلفون فيه إلى لسان قريش؛ فبه نزل، وقد اختلفوا في كتابة كلمة "تابوت"، قاله القرشيون، وقال زيدٌ "تابوه" فقال عثمان: اكتبوه "تابوت" لأنه لسان قريش، ولما انتهوا من النسخ قاموا بإرسال النسخ إلى الأمصار وردِّ الصحف إلى حفصة.

مصاحف الصحابة:

وما وقع في مصاحف الصحابة من اختلاف لم يكن إلا تبعًا لاختلاف الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، فقد روي أن مصحف عمر بن الخطاب كان فيه: صِرَاطَ مَنْ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَغَيْرَ الضَّالِّينَ، بإبدال "مَن" بـ "الذين"، و"غير" بـ "لا"، وكذلك في مصحف علي: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَآمَنَ الْمُؤْمِنُونَ، بزيادة "آمن"، وفي مصحف أُبيّ بن كعب: لِلَّذِينَ يُقْسِمُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ، بدلًا من "يؤلون"، وفي مصحف ابن مسعود: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ نَمْلَةٍ، بدلًا من "ذرة"، وهذا كله لا يعدو الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، حتى جمع عثمان المصحف على حرفٍ واحد، وأمر بالصحف والمصاحف المخالفة وأحرقها جميعًا على مرأى ومسمعٍ من الناس، ولم يعارضه أحدٌ؛ لأنهم أدركوا الحكمة من فعله، وهي قطع النزاع في كتاب الله .

ترتيب السور وأسماؤها:

الراجح أن تسمية السور بأسمائها توقيفي؛ إذ سمَّاها رسول الله ﷺ بأسمائها؛ دلَّ على ذلك ورود بعض أسماء سور القرآن

في أحاديثه الشريفة، أما مسألة احتمال السورة أكثر من اسم، فهذا لا يُعارض ذاك، كقولهم سورة بني إسرائيل عن سورة الإسراء، ومثله قولنا سورة قل هو الله أحد عن سورة الإخلاص، والأمر لا يعدو أن يكون لك اسمٌ رسميٌّ ثم يدعوك الناس باسم شهرة.

أمَّا تسمية المصحف فقد رُوي أنهم لما كتبوه في الورق قال أبو بكر التمسوا له اسمًا، فقال بعضهم السِّفْر وقال بعضهم المصحف فإنَّ الحبشة يسمونه المصحف وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه المصحف.

والراجح أيضًا أن ترتيب السور توقيفي عن رسول الله ﷺ، ومما يرجح أن الترتيب والأسماء أمورٌ توقيفية هو ما أورده السيوطي في الإتقان: "أَخْرَجَ ابْنُ أَشْتَةَ فِي الْمَصَاحِفِ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي فَضَائِلِهِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ عُبَيْدَةَ السَّلْمَانِيِّ

قَالَ: الْقِرَاءَةُ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ هِيَ الْقِرَاءَةُ الَّتِي يَقْرَؤُهَا النَّاسُ الْيَوْمَ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَشْتَةَ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: كَانَ جِبْرِيلُ يُعَارِضُ النَّبِيَّ ﷺ كُلَّ سَنَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ عَارَضَهُ مَرَّتَيْنِ فَيَرَوْنَ أَنْ تَكُونَ قِرَاءَتُنَا هَذِهِ عَلَى الْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ.

وَقَالَ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ: يُقَالُ إِنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ شَهِدَ الْعَرْضَةَ الْأَخِيرَةَ الَّتِي بُيِّنَ فِيهَا مَا نُسِخَ وَمَا بَقِيَ وكتبها لرسول الله ﷺ وَقَرَأَهَا عَلَيْهِ وَكَانَ يُقْرِئُ النَّاسَ بِهَا حَتَّى مَاتَ وَلِذَلِكَ اعْتَمَدَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي جَمْعِهِ وَوَلَّاهُ عُثْمَانُ كَتْبَ الْمَصَاحِفِ"[1].

فإن كان ذلك كذلك، وإن كان زيدٌ قد حضر العرضة الأخيرة ووعى القرآن بصورته النهائية فلابد أنه راعى التسمية

[1] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

والترتيب الذي علَّمه جبريل لرسول الله ﷺ في تلك العرضة، ولاشك أن الاعتماد عليه في الجمع والنسخ يؤكد ذلك.

وكذلك ترتيب الآيات توقيفي ولا شبهة في ذلك؛ لأن النبي ﷺ كان يصلي بهم ويقرأ عليهم بالسور الكاملة المرتبة، ولا شك أنهم حفظوا السور بترتيب آياتها الذي سمعوه عن رسول الله ﷺ، وليس ثمة ما يدعوهم لمخالفة ما عهدوه عن رسولهم الكريم ﷺ.

ترتيب سور القرآن حسب نزولها:

1- العلق	7- التكوير
2- القلم	8- الأعلى
3- المزمل	9- الليل
4- المدثر	10- الفجر
5- الفاتحة	11- الضحى
6- المسد	12- الشرح

13- العصر

14- العاديات

15- الكوثر

16- التكاثر

17- الماعون

18- الكافرون

19- الفيل

20- الفلق

21- الناس

22- الإخلاص

23- النجم

24- عبس

25- القدر

26- الشمس

27- البروج

28- التين

29- قريش

30- القارعة

31- القيامة

32- الهمزة

33- المرسلات

34- ق

35- البلد

36- الطارق

37- القمر

38- ص

39- الأعراف

40- الجن

41- يس

42- الفرقان

43- فاطر
44- مريم
45- طه
46- الواقعة
47- الشعراء
48-النمل
49- القصص
50- الإسراء
51- يونس
52- هود
53- يوسف
54- الحجر
55- الأنعام
56- الصافات
57- لقمان
58- سبأ
59- الزمر
60- غافر
61- فصلت
62- الشورى
63- الزخرف
64- الدخان
65- الجاثية
66- الأحقاف
67- الذاريات
68- الغاشية
69- الكهف
70- النحل
71- نوح
72- إبراهيم

73- الأنبياء
74- المؤمنون
75- السجدة
76- الطور
77- الملك
78- الحاقة
79- المعارج
80- النبأ
81- النازعات
82- الانفطار
83- الانشقاق
84- الروم
85- العنكبوت
86- المطففين
87- البقرة
88- الأنفال
89- آل عمران
90- الأحزاب
91- الممتحنة
92- النساء
93- الزلزلة
94- الحديد
95- محمد
96- الرعد
97- الرحمن
98- الإنسان
99- الطلاق
100- البينة
101- الحشر
102- النور

103- الحج	109- الصف
104- المنافقون	110- الجمعة
105- المجادلة	111- الفتح
106- الحجرات	112- المائدة
107- التحريم	113- التوبة
108- التغابن	114- النصر

وفي هذا الترتيب بعض الخلاف بين العلماء، لكن هذا هو الأقرب لاتفاقهم، ولا يخفى على أحدٍ أن بعض السور كانت تتنزَّل معًا وفي وقتٍ واحد؛ فقد يستمر نزول السورة فتنزل في أثناء مدة نزولها سور أخرى.

أسماء القرآن:

وللقرآن أسماء عديدة وردت بين آياته منها: الفرقان- الكتاب- النور- التنزيل- الكلام- الحديث- الموعظة- الهادي- الحق- البيان- المنير- الشفاء- العظيم- الكريم-

المجيد– العزيز– النعمة– الرحمة– الروح– الحبل– القصص– المهيمن– الحكم– الذّكر– السراج– البشير– النذير– التبيان– العدل– الشافي– الذكرى– الحكيم.

أسماء أخرى لبعض سور القرآن:

سورة الفاتحة: تسمى أم الكتاب، أم القرآن، السبع المثاني.

سورة المائدة: تسمى سورة العقود.

سورة التوبة: تسمى الفاضحة.

سورة النحل: تسمى سورة النعم.

سورة الإسراء:تسمى سورة بني إسرائيل/سورة سبحان.

سورة يس: تسمى قلب القرآن.

سورة الحشر: تسمى سورة بني النضير.

سورة الأنفال: تسمى سورة بدر.

سورة طه: تسمى سورة الكليم.

سورة النمل: تسمى سورة سليمان.

سورة فاطر: تسمى سورة الملائكة.

سورة غافر: تسمى سورة المؤمن.

سورة محمد : تسمى سورة القتال.

سورة المجادلة: تسمى سورة الظهار.

سورة الملك: تسمى سورة تبارك.

سورة (ص): تسمى سورة داود.

سورة المعارج: تسمى سورة المواقع.

سورة الإنسان: تسمى سورة الدهر.

سورة الرحمن: تسمى عروس القرآن.

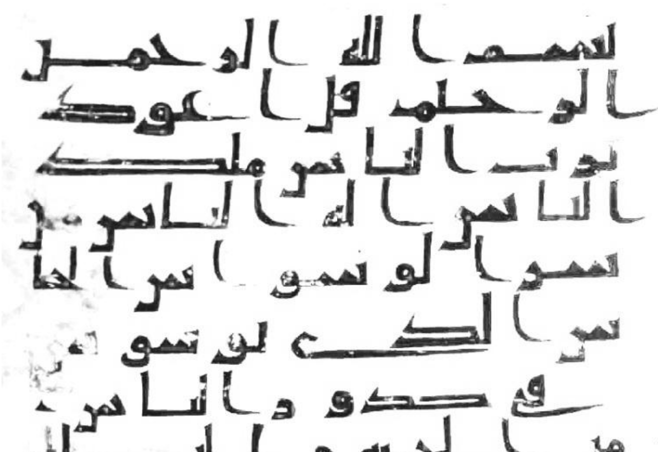
سورة النصر: تسمى سورة التوديع.

سورة الكوثر: تسمى سورة النحر.

سورة الفلق وسورة الناس: تسميان المعوذتين.

رسم القرآن:

ويختلف رسم المصاحف عن الرسم الإملائي في عدة مواطن سواء بالحذف مثل الألف في: "**يُخَٰدِعُونَ**" أو الزيادة نحو: "**ٱلظُّنُونَاْ**" أو غيرها، غير أن ما يعنينا هنا هو تطور الرسم منذ بدئه حتى الآن؛ فقد بدأ الرسم غير مشكولٍ ولا منقوطٍ على هذا النحو:



سورة الناس من المصحف الذي يقال إن عثمان أرسله إلى مصر.

ولمَّا وقع الخطأ في قراءة القرآن شق هذا على أبي الأسود الدؤلي فقال:ما ظننت أن أمر الناس آل إلى هذا. وكان زياد بن أبيه، قد طلب منه أن يعمل شيئا يكون به إمامًا، ويعرف به كتاب الله عزّ وجلّ فاستعفاه من ذلك، ولكن لما سمع ما سمع من لحنٍ في القرآن، رجع إلى زياد وأخبره أنه عازم على فعل ما طلب منه، واستعانه بكاتب يفعل ما يقوله له، وقال للكاتب لما بدأ العمل: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه، وإن ضممت فمي فانقط بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت، ففعل ذلك.

وروي أن زياد بن أبيه طلب شكل القرآن من أبي الأسود فأبى، فوضع في طريقه رجلًا قال له: إذا مرّ بك أبو الأسود فاقرأ شيئًا من القرآن، وتعمَّد اللحن فيه. فلما مرّ به قرأ قوله تعالى: "أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ"[1] بكسر لام رسوله،

---

[1] - التوبة 3.

فشقَّ ذلك على أبي الأسود وقال: الله يتبرَّأُ من رسوله؟! فذهب إلى زياد وقال له: لقد أجبتك إلى ما طلبت.

ومع دخول الأعاجم الإسلام شقَّ عليهم التفريق بين الحروف المعجمة (المنقوطة مثل الذال) والحروف المهملة (العارية عن النقط مثل الدال)، فقام بنقط القرآن لتمييز الحروف لأول مرة نصر بن عاصم تلميذ أبي الأسود الدؤلي، بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي، فوضع علامات تميّز الحروف المشتبهة بعضها عن بعض. وكانت هذه العلامات نقطًا على الحرف رُسِمت بمداد غير مداد التشكيل، التزم فيها ألّا تزيد عن ثلاث نقط في أي حرف، وبهذا صار القرآن مشكولًا منقوطًا تسهل قراءته.

تقسيم القرآن إلى أجزاء وأحزاب:

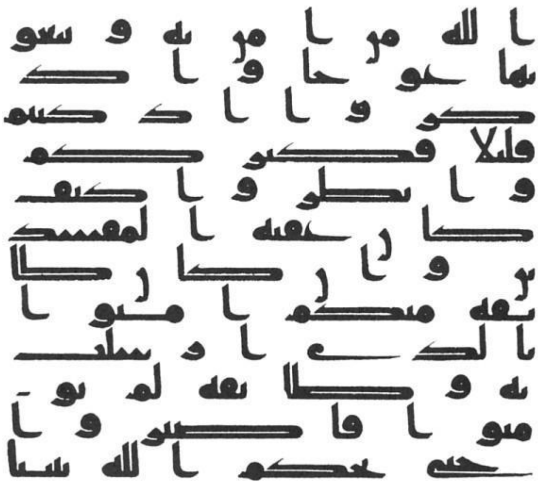
لم يكن المصحف العثماني مجزَّءًا ولا محزَّبًا، لكن الصحابة كانت لهم تجزئتهم وتحزيبهم ليسهل عليهم تلاوته وحفظه

واستظهاره، وقد اختلفت طرائقهم في التحزيب، وكان أشهر تحزيب للصحابة حين جعلوا القرآن سبعة أجزاء.

أما الصورة التي عليها القرآن اليوم بتقسيمه لثلاثين جزءًا وستين حزبًا ومائتين وأربعين ربعًا فقد ورد أن الحجاج ابن يوسف الثقفي هو أول من دعا إليه وأمر به، ورغم أن هذه التجزئة هي الغالبة اليوم إلا أنها قوبلت باعتراض بعض أهل العلم لأنها تعتمد على عدد الحروف دون مراعاة مواضع الوقف والوصل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: "قد عُلم أن أول ما جُزِّئَ القرآن بالحروف تجزئةَ ثمانية وعشرين، وثلاثين، وستين، هذه التي تكون رءوس الأجزاء والأحزاب في أثناء السورة، وأثناء القصة ونحو ذلك، كان في زمن الحجاج وما بعده، وروي أن الحجاج أمر بذلك، ومن العراق فشا ذلك، ولم يكن أهل المدينة يعرفون ذلك"[1].

[1] - مجموع الفتاوى (409/13) ابن تيمية.

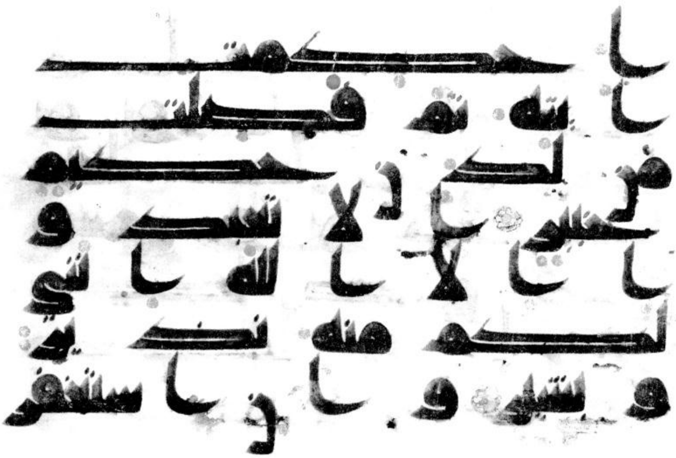
بعض نماذج من مصاحف أثرية:



جزء من آية 86 من سورة الأعراف (وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجًا ...) مخطوطة من مخطوطات صنعاء.



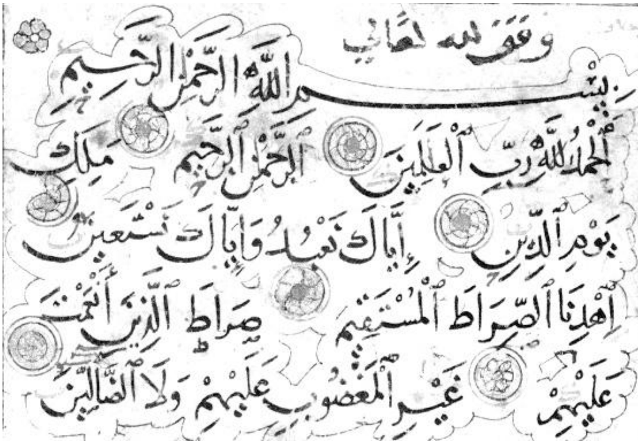
أول سورة الإسراء من مصحف بالخط الكوفي من النصف الأول للقرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.



أول سورة هود بالخط الكوفي - القرن الثالث/ التاسع.

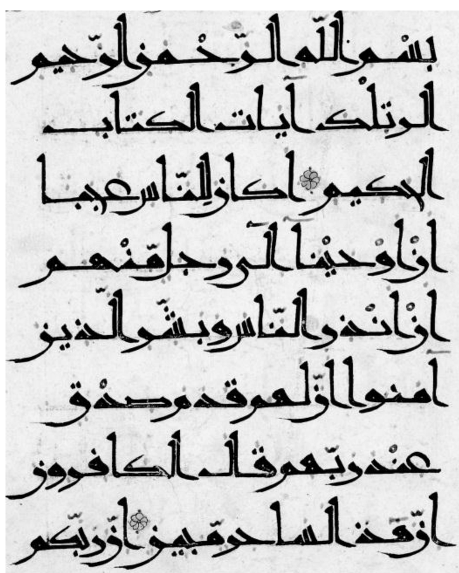


أول سورة سورة الإسراء بالخط الكوفي الشرقي في منتصف القرن الثالث/التاسع.



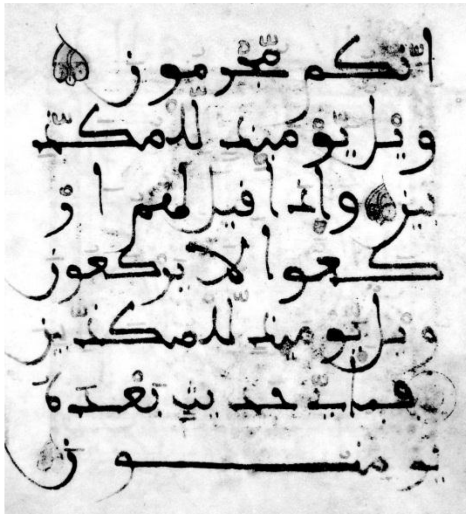
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك
يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

الفاتحة من القرن السادس/ الثاني عشر.

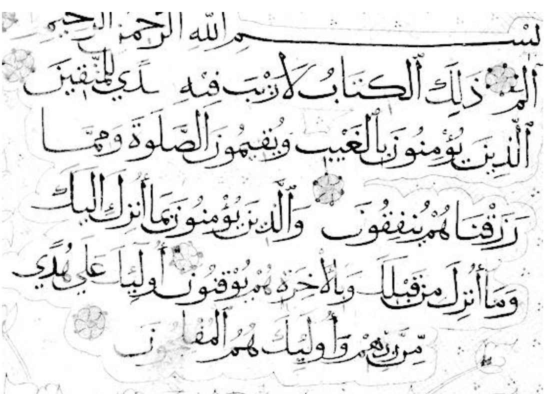


بسم الله الرحمن الرحيم
الر تلك آيات الكتاب
الحكيم أكان للناس عجبا
أن أوحينا إلى رجل منهم
أن أنذر الناس وبشر الذين
آمنوا أن لهم قدم صدق
عند ربهم قال الكافرون
إن هذا لساحر مبين إن ربكم

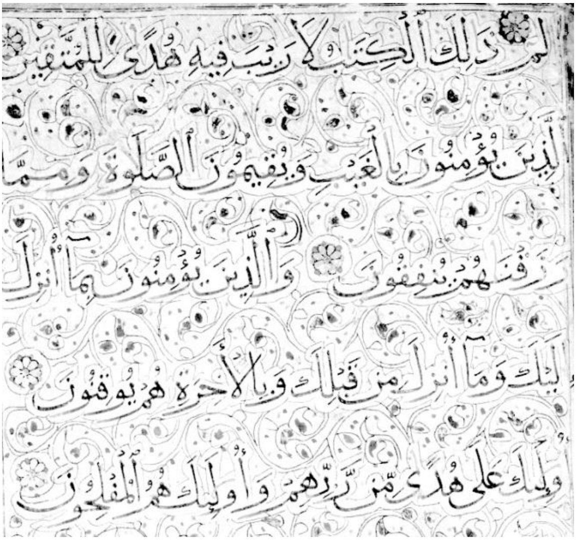
أول سورة يونس بخط كوفي شرقي من القرن السادس/الثاني عشر.



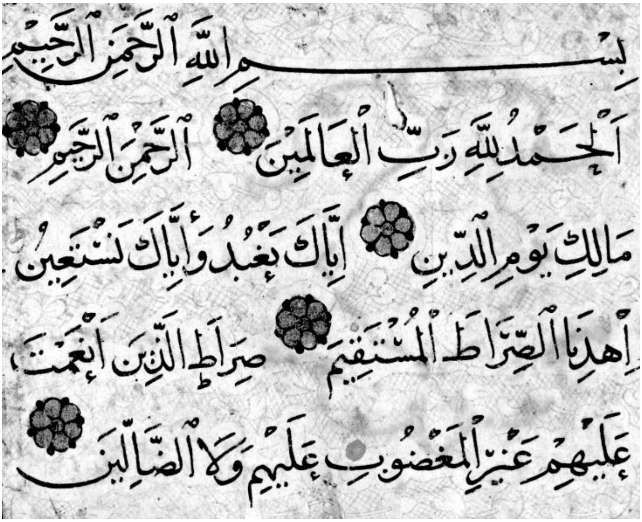
آخر سورة المرسلات من مصحف أندلسي القرن السادس/الثاني عشر.



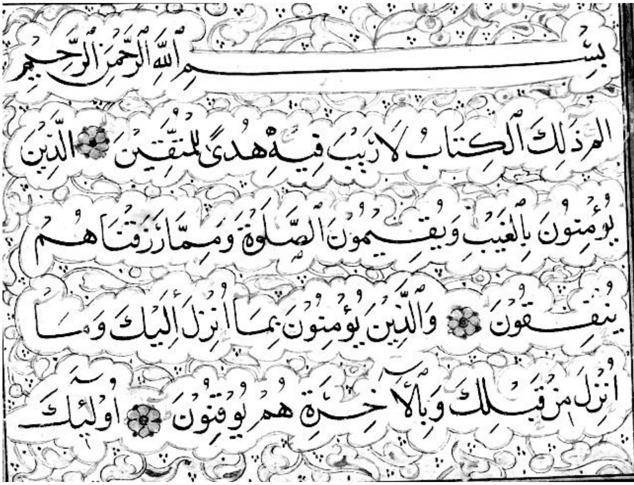
أول سورة البقرة من القرن السابع/الثالث عشر.


لم ذلك الكتب لا ريب فيه هدى للمتقين
لذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما
رزقنهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل
ليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون
ولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون

أول سورة البقرة من مصحف مملوكي من القرن السابع/الثالث عشر.


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

الفاتحة من مصحف بغدادي بخط النسخ 688هـ/1289م.



أول سورة البقرة من مصحف مغولي 732هـ/ 1323م.



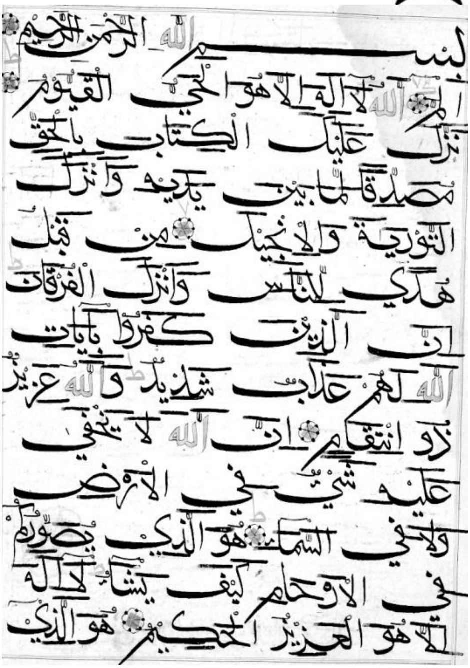
أول سورة الفرقان بخط ريحاني جلي من القرن الثامن/ الرابع عشر.



الفاتحة بخط الثلث والنسخ من القرن التاسع/ الخامس عشر.



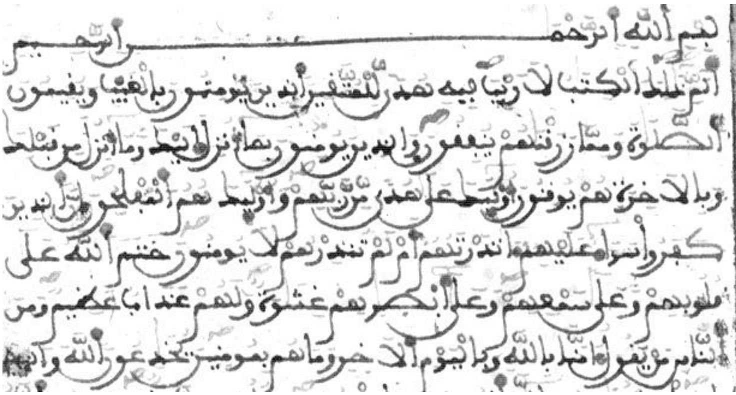
أول سورة البقرة بالخط المعروف بالبهاري (نسبة إلى بلاد بهار في شمال شرقي الهند) - نسخة هندية كتبت في القرن التاسع/ الخامس عشر.



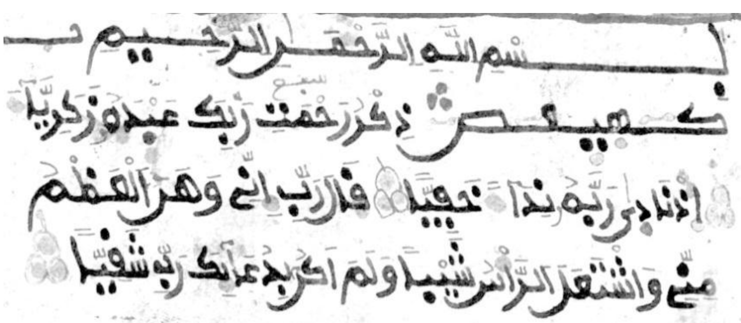
أول سورة آل عمران بالخط البهاري من القرن التاسع/ الخامس عشر.



آخر سور فاطر كتبت على يد المقرئ الحلبي نزيل مكة الذي توفي سنة 814هـ/ 1411م.



أول سورة البقرة من مصحف مغربي 1147هـ/ 1734م.



أول سورة مريم من مصحف من مدينة تمبكتو (اليوم داخل حدود دولة مالي) 1190هـ/ 1775م بالخط الأفريقي المشتق من الخط المغربي.

بعض إحصائيات القرآن الكريم[1] :

سور القرآن : 114.

أجزاء القرآن : 30.

أحزاب القرآن : 60.

سجدات القرآن : 15.

أحرف القرآن : 7.

آياته : 6236.

كلمات القرآن : 77439.

بسملات القرآن: 114.

نقط القرآن : 1015030.

السور المكية: 82.

السور المدنية : 20.

المختلف فيها : 12.

[1] ـ فيه خلاف على مذهب من عدَّ البسملة آية من الفاتحة ومن لم يعدَّها.

الآيات المكية : 4470.

الآيات المدنية : 1729.

الآيات التي لم تنزل بمكة ولا المدينة : 37 آية.

حروف القرآن بحسب كتابتها : 323071.

حروف القرآن بحسب لفظها : 335288.

والفرق بينهما : 9517 حرفًا.

أطول السور في القرآن الكريم سورة البقرة ب" 286 " آية وأقصرها سورة الكوثر ب" 3 " آيات.

كل السور تبدأ بالبسملة سوى سورة "التوبة" لا تبدأ بالبسملة، وسورة النمل فيها بسملتان.

كلمة " وليتلطّف " تتوسط كلمة القرآن الكريم.

حرف " التاء " يتوسط حروف القرآن الكريم.

أقصر الآيات هي: " يس " في سورة يس، وأطول آية هي الآية 282 من سورة البقرة (آية الدَّيْن).

مواضع سجود التلاوة:

السورة	الآية	السورة	الآية	السورة	الآية
الأعراف	206	الحج	18	ص	24
الرعد	15	الحج	77	فصلت	37
النحل	49	الفرقان	60	النجم	62
الإسراء	107	النمل	25	الانشقاق	21
مريم	58	السجدة	15	العلق	19

ما يقال في سجود التلاوة: التسبيح: سبحان ربي الأعلى ثلاثًا، ثم يقول: "اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"، ويقول: "اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أجْراً، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْراً، واْجعَلْهَا لِي عِنْدِكَ ذُخْراً، وتَقَبَّلَهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ".

من علوم القرآن:

نشأت علوم القرآن مع بدء نزول القرآن؛ إذ كان رسول الله ﷺ هو المفسِّر الأول للقرآن، كما اشتُهر بتفسير القرآن من الصحابة عبد الله بن العباس وابن مسعود وأُبيٍّ بن كعب وغيرهم، لكن لم تعرف علوم القرآن طريقها إلى التدوين إلا بحلول القرن الثالث الهجري؛ حيث أشار ابن النديم في الفهرست إلى أن محمد بن خلف بن المرزبان المتوفي عام 309هـ هو أوَّل من ألَّف مصنَّفًا في علوم القرآن وأسماه: الحاوي في علوم القرآن، ومنذ هذا التاريخ وحتى يومنا هذا لم يتوقف التأليف في علوم القرآن المتنوعة التي أوصلها الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن إلى سبعة وأربعين نوعًا.

بينما أوصلها الحافظ السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن إلى ثمانين نوعًا على سبيل الإدماج وقال: لو نوَّعت ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمائة.

من أهم ما كُتب في علوم القرآن:

* فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن؛ لابن الجوزي، وهو يُعدُّ أول ما كُتب في هذا الشأن.

* جمال القرّاء وكمال الإقراء؛ لعلم الدين السخاوي.

* المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز؛ لأبي شامة.

* البرهان في علوم القرآن؛ للزركشي.

* الإتقان في علوم القرآن؛ للسيوطي.

* مناهل العرفان في علوم القرآن؛ للزرقاني، ويُعدُّ هو والبرهان والإتقان من أهم الكتب الموسوعية الجامعة في علوم القرآن.

* إتقان البرهان في علوم القرآن؛ لفضل عباس.

وللمبتدئين يُنصح بكتاب: أصول في التفسير؛ لابن عثيمين؛ فهو مختصر وجامع في الوقت ذاته.

التفسير:

هو العلم الذي يشرح آيات القرآن الكريم ويبيِّن معانيها وأحكامها؛ لأن هذا هو الغاية التي من أجلها نزل القرآن، يقول تعالى: "كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ "[1]، فكلام الله إنما نزل بالأساس ليتدبره الناس ويعقلوه، فكان علم التفسير هو العلم الأهم من بين كل علوم القرآن.

ويعد علم التفسير من أول العلوم القرآنية نشأةً؛ إذ نشأ بالتزامن مع نزول الآيات؛ إذ كان رسول الله ﷺ يفسِّر الآيات للصحابة رضوان الله عليهم.

وقد قال ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه:

وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى.

---

[1] - ص 29.

وتفصيل ذلك أن بعض كلام الله واضحٌ مفهومٌ في غير لبسٍ، وهو في غير حاجةٍ إلى تفسير، وبعضه لا يحلُّ لأحدٍ أن يجهله، وهو ما ينبني عليه اعتقادٌ كالإيمان بالرسل، أو عمل كالصلاة، وبعضه لا يعرفه إلا العلماء كالناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد وغيره من العلوم التي تُعدُّ فرض كفاية لا فرض عين، وبعض القرآن لا يعلم تأويله إلا الله؛ كالعلم بحقائق صفات الله وحقائق غيبه كأوصاف القيامة والجنة والنار.

ويعتمد علم التفسير على منهجين:

<u>أ- التفسير بالمأثور</u>: وينقسم إلى أربعة أقسام:

1- تفسير القرآن بالقرآن: كقوله تعالى: " صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ "[1]، يفسرها قوله تعالى: "**فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ** "[2].

---

[1] - الفاتحة 7.
[2] - النساء 69.

2- تفسير القرآن بالسنة: ومنه قوله تعالى: "**حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ**"[1]، فسَّرها حديث النبي ﷺ: "شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى؛ صَلَاةِ الْعَصْرِ "[2].

3- تفسير الصحابة للقرآن؛ لأنهم عايشوا القرآن وهو يتنزَّل على رسول الله ﷺ ونهلوا من معينه ﷺ.

4- تفسير التابعين للقرآن؛ وقد اعتمدوا فيه على ما تعلموه من صحابة رسول الله ﷺ؛ كمجاهد وعكرمة عن ابن عباس.

ب- التفسير بالرأي: وهو الذي يعتمد على اجتهاد المفسِّر ويُشترط إلمامه بحزمة من العلوم أولها علوم اللغة والعلوم الشرعية، وينقسم الرأي إلى محمودٍ ومذموم وهو الذي يعتمد على هوى صاحبه بغير علمٍ ولا دليلٍ على ما يقول.

---

[1] - سورة البقرة 238.
[2] - رواه مسلم.

من أهم ما كُتب في التفسير:

* جامع البيان؛ للطبري.
* تفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير.
* معالم التزيل؛ للبغوي.
* أضواء البيان؛ للشنقيطي.
* فتح القدير؛ للشوكاني.
* الجلالين؛ لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي.
* الدر المنثور؛ للسيوطي.
* الإكليل في استنباط التنزيل؛ السيوطي.
* مدارك التنزيل؛ النسفي.
* البحر المحيط، لأبي حيان.
* تيسير الكريم الرحمن؛ السعدي.
* تفاسير الأحكام: زاد المسير؛ لابن الجوزي.
* الجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي.

* التفسير الوسيط؛ للواحدي.
* أحكام القرآن: جمعه البيهقي من كلام الشافعي.
* أيسر التفاسير؛ لأبي بكر الجزائري.
* الكشاف؛ للزمخشري.
* التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)؛ لفخر الدين الرازي.
* التحرير والتنوير؛ لابن عاشور.
* غرائب القرآن؛ للنيسابوري.
* تفسير القرآن؛ للعز بن عبد السلام.
* تفسير القرآن؛ للماوردي.
* المختار من تفسير القرآن؛ لمحمد متولي الشعراوي.
* الوجيز في تفسير القرآن الكريم؛ لشوقي ضيف.
* تفسير القرآن الكريم؛ لابن عثيمين.
* تفسير القرآن الكريم؛ محمود شلتوت.
* التفسير الوسيط؛ لمحمد سيد طنطاوي.

إعراب القرآن:

هو علم يبحث في إخراج تراكيب القرآن الكريم على قواعد النحو المقررة.

وقد نشأ هذا العلم بعد دخول الإسلام في بلاد الأعاجم ووقوع اللحن فيه، وقد ابتدأ إعراب القرآن كما أسلفنا قبلًا: أبو الأسود الدؤلي، غير أنه لم يصنِّف في إعرابه إنما اكتفى فقط بتشكيله؛ صيانةً له من اللحن والخطأ.

وإعراب القرآن يُعدُّ من أهم علومه؛ إذ إنه يسبق التفسير؛ فالشكلة الواحدة تغيِّر المعنى وتحيل الحكم ومن ذلك قوله تعالى: "فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ "[1]، فالإعراب هنا يحيل حكم الرجلين إلى الغسل لا المسح بالعطف على المرافق لا الرءوس.

[1] - المائدة 6.

من أهم ما كُتب في إعراب القرآن:

* معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج.

* إعراب القرآن؛ لأبي جعفر النحاس، وهو أول كتابٍ مستقل بعلم إعراب القرآن.

* إعراب القرآن؛ للعكبري.

* مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي.

* البيان في إعراب القرآن؛ لابن الأنباري.

* الدر المصون؛ للسمين الحلبي.

* الفريد في إعراب القرآن المجيد؛ للمنتجب الهمذاني.

*كشف المشكلات وإيضاح المعضلات؛ لأبي الحسن علي ابن الحسين الأصبهاني الباقولي.

* إعراب القرآن الكريم؛ للكرباسي.

* إعراب القرآن؛ لمحيي الدين الدرويش.

* الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه؛ لمحمود صافي.

القراءات:

وهي سبع قراءات عند بعض العلماء، وبعضهم زادها إلى عشر، وقد سبق وأشرنا إلى أن القراءات تختلف بالكلية عن الأحرف، ومسألة اختلاف القراءات لا يتعدى اختلاف الألسنة في نطق الحرف الواحد، وهو أمرٌ معروفٌ في كل اللغات؛ فتجد مثلًا الإنجليز ينطقون كلمة: water كما يكتبونها، على عكس الأمريكان؛ فيكتبونها بالطريقة نفسها لكنهم ينطقونها: warer؛ ذلك لأنهم يخففون حرف t حتى يصبح نطقه r، وكذلك في علم القراءات فتجد أحدهم ينطق: (والضحى) بألف لينة، وآخر ينطقها: (والضحي) ممالة إلى الياء، وهذا أمرٌ غير مستغرب في كل لغات العالم؛ إذ تجد المكتوب واحدًا والمنطوق مختلفًا باختلاف الألسنة واللهجات واللكنات في اللغة الواحدة، والنص القرآني نصٌ رحب يقبل كل هذه الخلافات بضوابط.

القرَّاء ورواتهم:

القارئ	الرواة	
نافع المدني	قالون	ورش
ابن كثير المكي	البَزّي	قُنبل
أبو عمرو البصري	الدُّوري	السُّوسي
عبد الله بن عامر	هشام	ابن ذَكْوان
عاصم الكوفي	شعبة	حفص
حمزة الكوفي	خلف	خَلَّاد
الكِسَائي الكوفي	الليث	الدُّوري
ومن زادهم عشرة زاد:		
أبو جعفر المدني	عيسى بن وَرْدَان	ابن جَمَّاز
يعقوب البصري	رُوَيس	رَوْح
خلف	إسحق	إدريس

من أهم ما كُتب في علم القراءات:

* السبعة في القراءات؛ لابن مجاهد التميمي.

* التيسير في القراءات السبع؛ لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني.

* الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني): وهي منظومة مكونة من 1173 بيتًا نظمها الإمام أبو القاسم الشاطبي.

* متن الدرة المضيئة في القراءات الثلاث المتممة للعشر؛ لابن الجزري، وهي منظومة في (240) بيتا على بحر الشاطبية ورويّها.

*تحبير التيسير في القراءات العشر؛ لابن الجزري.

* النشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري، وهو العمدة في باب القراءات.

* طيبة النشر في القراءات العشر؛ وهي منظومة ألفها ابن الجزري عدد أبياتها (1015) بيتا ضمنها كتابه النشر.

التجويد:

هو علمٌ يُعرف به إعطاءِ كل حرف حقه ومستحقه مخرجًا وصفةً، وذلك لقراءة القرآن كما أنزله الله وقرأه النبي ﷺ؛ فقد نـزل القـرآن الكـريم باللغـة العربيـة مـرتلاً مجـوَّدًا؛ أي: مقـروءًا بأحكامـه، ويؤخـذ مشـافهةً عـن شـيخٍ أو أسـتاذٍ عنـده إجـازةٌ بتعليم التجويد.

وقـد ظهـر التـأليف في علـم التجويـد مسـتقلاًّ بمسـائله في القرن الرابع الهجري، وقد كان علم التجويد يُدرس قبل ذلك مع القرآن الكريم مشافهةً، فيتلقى التلميذ القرآن من شيخه، يقرؤه عليه مرة بعد مرة، إلى أن يتقن القراءة ويضبط الأداء.

وأول من وضع قواعد هذا العلم هو الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي وأول مـن دوَّن فيـه هـو الإمـام أبـو الخير محمـد ابـن محمد بن الجزري في كتابه التمهيد في علـم التجويد، في القرن الثالث الهجري.

من أهم ما كتب في علم التجويد:

* منظومة تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن، للجمزوري.

* منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه؛ لابن الجزري، وقد اشتهرت بالجزرية.

* منظومة عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة التجويد؛ للسخاويّ، واشتهرت بـ" نونية السخاوي " وعدد أبياتها أربعة وستون بيتًا من بحر الرجز.

* التجويد الميسر؛ لعبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ.

* البرهان في تجويد القرآن؛ لمحمد الصادق القمحاوي.

* أحكام قراءة القرآن الكريم؛ لشيخ المقارئ المصرية في وقته الشيخ محمود خليل الحصري.

* المنير الجديد في أحكام التجويد؛ لفهمي علي سليمان.

* البسيط في علم التجويد؛ لبدر حنفي محمود.

من لغات القبائل في القرآن الكريم:

نزل القرآن الكريم بلسانٍ عربيٍّ مبين، لكن العرب كانوا قبائل شتى تختلف ألسنتهم ولهجاتهم، فحرص القرآن على جمع ألسنة العرب جميعًا في نصٍّ واحدٍ متآلف مترابط البنية كأنه البنيان المرصوص، لا تتنافر ألفاظه، بل تذوب داخل النص في عذوبة شديدة.

وفي ذلك استكمالٌ للإعجاز اللغوي لذلك النص الذي لو صدق زعمهم بأنه من عند محمد ﷺ لغلَّب لسان قومه على ما سواه، ثم من أين له بمعرفة ألسنة كل تلك القبائل وهو الأمي الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وربما كان في حرص المشرِّع الحكيم على تضمين قرآنه ألسنة العرب جميعًا وعدم إغفال أيٍّ منها إشارة إلى حرصه عليهم جميعًا، وبيانًا لإرادته جل وعلا في توحيدهم وصهرهم في بوتقة الدولة الجديدة وتخليصهم من النعرة القبلية التي كانت تستولي عليهم.

ومن جملة ما جاء في القرآن الكريم من لهجات العرب المختلفة نذكر طائفةً من باب التمثيل لا الحصر:

رَغَدًا: الخصب بلغة طيء.

خاسِئين: صاغرين بلغة كنانة.

فَباءوا بِغَضَبٍ: استوجبوا بلغة جُرهم.

ما اشتَروا: باعوا بلغة هُذيل.

إلاّ مَن سَفِهَ نَفسَه: خسر بلغة طيء.

في شِقاقٍ بَعيد: في ضلال بلغة جُرهم.

فَلا رَفَثَ: فلا جماع بلغة مذحج.

فَلا تَعضُلوهُنّ: تحبسوا بلغة أزد شنوءة.

إِصري: عهدي، وافقت لغة النبطية.

يَمسَسكُم قَرح: جرح بلغة الحجاز.

رِبيّون كثير: رجال كثير بلغة حضرموت.

وَآتوا النِساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحلَةٌ: فريضة بلغة قيس عيلان.

وَقَد أَفضى بَعضُكُم إِلى بَعضٍ: الإِفضاءِ: الجِماع بلغة خُزاعة.

حَصِرَت صُدورُهُم: ضاقت بلغة أهل اليمامة.

يا أَهلَ الكِتابِ لا تَغلوا في دينِكُم: لا تزيدوا بلغة مُزينة.

أَوفوا بِالعُقود: بالعهود بلغة بني حنيفة.

وَجَعَلَكُم مُلوكًا: أحرارًا بلغة هُذيل وكنانة.

فَافرُق بَينَنا وَبَينَ القَومِ الفاسِقين: فاقضِ بيننا بلغة مدين.

وَلا تَقتُلوا أَولادَكُم مِن إِملاق: من جوع بلغة لخم.

بِالقِسط: بالعدل، وافقت لغة الروم.

في سَفاهَة: في جنون بلغة حِمْيَر.

إِنّا هُدنا إِليك: تبنا إليك، وافقت لغة العبرانية.

بِعَذابٍ بَئيس: شديد بلغة غسّان.

غيض الماء: نقص، وافقت لغة الحبشة.

حِجارَة مِن سِجّيل مَنضود: من طين، وافقت لغة الفرس.

فَلا تَبتَئِس: فلا تحزن بلغة سدوس.

وَكُلُّ إِنسانٍ أَلَزَمناهُ طائِرَهُ في عُنقه: عمله بلغة أنمار.

قُلنا إِذًا شَطَطا: كذبا بلغة خثعم.

لا أَبرَحُ: لا أزول بلغة كندة.

واجفة: خائفة بلغة همدان.

من أهم ما كُتب في لغات القبائل:

* اللغات في القرآن؛ لابن حسنون.

* لغات العرب الواردة في القرآن؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام، وقد اختلف بعض الباحثين في نسبة الكتاب لأبي عبيد الله ونسبوه إلى أبي القاسم محمد بن عبد الله.

والواضح أن مسألة لغات العرب قد استقصاها ابن حسنون فلم يزد عليه كتاب لغات العرب كثيرًا، ولم يُصنَّف في هذا الباب —حسب علمنا- غير هذين المصنَّفين .

المكي والمدني:

1 – السور المكية: اثنتان وثمانون (82). وهي:

الأنعام، الأعراف، يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، النحل، الإسراء، الكهف، مريم، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، سبأ، فاطر، يس، الصافات، ص، الزمر ، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، ق، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الواقعة، الملك، القلم، الحاقة، المعارج، نوح، الجن، المزمل، المدثر، القيامة، الإنسان، المرسلات، النبأ، النازعات، عبس، التكوير، الانفطار، الانشقاق، البروج، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، الشرح، التين، العلق، العاديات، القارعة، التكاثر، العصر، الهمزة، الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، الكافرون، والمسد.

2 - السور المدنية: عشرون (20). وهي:

البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، النور، الأحزاب، محمد، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الجمعة، المنافقون، الطلاق، التحريم، والنصر.

3 - السور المختلف فيها :اثنتا عشرة (12). وهي:

الفاتحة، الرعد، الرحمن، الصف، التغابن، المطففين، القدر، البينة، الزلزلة، الإخلاص، الفلق، والناس.

ومما تجب الإشارة إليه أن المدني من السور الطويلة —مثلًا– لا يلزم أن تكون كل آياته نزلت في المدينة؛ وذلك مثل سورة البقرة؛ فكلها مدنية إلا آيتيها 109-272، على عكس سورة الأعراف؛ فهي سورة مكية باستثناء الآية 163، فيُحكم على السورة بغالب آياتها.

ومن المعلوم أنه لا يمكن بحالٍ من الأحوال فصل المرحلة المكية عن المرحلة المدنية؛ ذلك لأن الحركة الإسلامية منذ

بدايتها هي خطوات يكمل بعضها بعضًا في البيئتين المكية والمدنية، وقد حاول العلماء وضع بعض الضوابط لتمييز المكي والمدني، لكنها تفتقر للواقعية في كثيرٍ من الحالات، فقد قالوا مثلًا إن كل سورة فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ هي سورة مكية وكل سورة فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ هي سورة مدنية، وهذا التصنيف ليس دقيقًا؛ إذ وردت الأولى في سورتي البقرة والنساء وكلاهما مدني، ووردت الثانية في سورة الحج وهي مكية.

وكذلك قالوا إن طوال السور مدنية وقصارها مكية، وهذا أيضًا غير دقيق؛ إذ إن سورة الأنعام وهي من طوال السور سورةٌ مكية، بينما سورة النصر سورة مدنية وهي من قصار السور.

يمكننا القول إن محاولات العلماء لوضع ضوابط مميزة للنص المكي والنص المدني هي من باب التغليب وليس إحكام الفصل والتمييز، ومنه أن النص المكي مثلًا يتناول قصص

الأمم الغابرة، أما المدني فيتناول الأحكام والشرائع والقوانين المنظمة للدولة الإسلامية التي قامت في المدينة، وكذلك يخبر عن الجيران الجدد في المجتمع المدني من أهل الكتاب ولاسيما اليهود، وكذلك تتناول المنافقين وهم الفئة الجديدة التي ظهرت في المجتمع المدني.

أسباب النزول:

ويُقصد به ذِكْرُ كل ما يتصل بنزول الآيات القرآنية من القضايا والحوادث، سواء في ذلك قضايا المكان أو حوادث الزمان، التي صاحبت نزول القرآن الكريم؛ فقد نزل القرآن على قسمين: قسمٍ نزل ابتداءً، وقسمٍ نزل ردًّا على سؤالٍ أو تعقيبًا على وقعةٍ بعينها.

ولا سبيل إلى فهم القرآن فهمًا صحيحًا إلا بتتبُّع أسباب نزول الآيات؛ قال ابن تيمية: إنَّ معرفة سبب النزول يعين

على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب ومن ذلك أن مروان بن عبد الملك قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبًا، لنعذبنَّ أجمعون، فقال ابن عباس: وما لكم ولهذه «إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه، بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم»، ثم قرأ ابن عباس: " وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ "[1] [2].

[1] - آل عمران 187 - 188

[2] - رواه البخاري .

من أهم ما كُتب في أسباب النزول:

* أسباب النزول، لشيخ البخاري: أبي الحسن علي ابن المديني، وهو أول ما كُتب في هذا الباب، بيد أنه لم يصل إلينا.

* القصص والأسباب التي نزل من أجلها القرآن؛ للقرطبي.

* أسباب النزول؛ للواحدي، وهو أول كتاب يصل إلينا في أسباب النزول، وقد جمع فيه أسباب النزول مرتبة على ترتيب سور القرآن، مروية بالإسناد غالبًا.

* العجاب في بيان الأسباب؛ لابن حجر العسقلاني.

* لباب النقول في أسباب النزول؛ للسيوطي، وقد قال عنه السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن: وَقَدْ أَلَّفْتُ فِيهِ – يقصد علم أسباب النزول– كِتَابًا حَافِلًا مُوجَزًا مُحَرَّرًا لَمْ يُؤَلَّفْ مِثْلُهُ فِي هَذَا النَّوْعِ سَمَّيْتُهُ: "لُبَابُ النُّقُولِ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ ".

الناسخ والمنسوخ:

قال الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ.

وقد قال الإمامُ عليٌّ لقاضٍ: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت.

على أنَّ مواضع النسخ في القرآن محل اختلاف بين العلماء؛ حيث لم يتفقوا إلا في موضعين فقط؛ أولهما قوله: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ "[1]، نسخها قوله: " إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ "[2]، والثاني قوله: "إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ "[3]، وهي منسوخة بقوله: " ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ "[4].

---

[1] - المزَّمل 1-3.
[2] - المزمل 20.
[3] - المجادلة 12.
[4] - المجادلة 13.

والنسخ هو رفع الحكم الشرعي وإثبات حكم آخر، وهو مما خص الله به هذه الأمة لحِكَم منها التيسير، وقد سبق وفصَّلنا أقسام النسخ من حيث الرسم والحكم، أحدهما أو كليهما.

وإن قلت ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة؟ قلنا: إن النسخ غالبًا يكون للتخفيف؛ فأبقيت التلاوة تذكيرًا للنعمة ورفع المشقة، ثم إن القرآن كما يتلى ليُعرف الحكم منه والعمل به، فيتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه؛ لذا بقيت التلاوة.

ويجوز للناسخ أن يُنسخ كقوله تعالى: "**فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ**"[1] نسخها قوله: "**فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ**"[2]، وهذه الأخيرة نسخها قوله: "**حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ**"[3]، فكانت الآية الثانية ناسخة للأولى ومنسوخة بالثالثة.

---

[1] - سورة البقرة 109.
[2] - التوبة 5.
[3] - التوبة 29.

وقد قال: الحسين بن المنادي في كتابه" الناسخ والمنسوخ": ومما رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حفظه سورتا القنوت في الوتر وتسمى سورتي الخلع والحفد.

وقد ذكرهما الإمام السيوطي في كتابه "الدر المنثور"، فذكر ما عُرف بسورة الخلع: اللَّهُمَّ إِنَّا نستعينك ونستغفرك، ونثني عَلَيْك الْخَيْر وَلَا نكفرك، ونخلع[1] ونترك من يفجرك.

أما ما عُرف بسورة الحفد: اللَّهُمَّ إياك نعْبد، وَلَك نصلي ونسجد، وَإِلَيْك نسعى ونحفد[2]، نخشى عذابك وَنَرْجُو رحمتك، إن عذابك بالكفار مُلْحق.

وروي أنهما كانتا في مصحف أُبي بن كعب وغيره، وأنَّ عمر بن الخطاب كان يصلي بهما، وقال أنس: "والله إن أُنزلتا إلا من السماء"، لكنهما نُسختا كقرآن وجاز استعمالهما كدعاء.

---

[1] - نترك ونتبرأ.
[2] - نسارع.

وقد بعث أبو موسى الأشعري لقرَّاء البصرة، فقال لهم مما قاله: "وإنا كنا نقرأ سورة، كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة، فأنسيتها، غير أني قد حفظت منها: لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ، لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ."[1].

وقال ابن عبَّاس: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِلْءَ وَادٍ مَالًا، لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ مِثْلُهُ، وَلَا يَمْلَأُ نَفْسَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَاللهُ يَتُوبُ عَلَى مَنْ تَابَ» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَلَا أَدْرِي أَمِنَ الْقُرْآنِ هُوَ أَمْ لَا»[2].

وفي هذا إشارة إلى أنَّ هذا الكلام كان قرآنًا لكنَّ الله نسخه، وهذه الكلمات إن ثبت أنها كانت قرآنًا فلا تجوز الصلاة بها ولا يصحُّ التعبُّد بقراءتها.

---

[1] - رواه مسلم في صحيحه والحاكم في مستدركه والسيوطي في الدرر والبيهقي وابن مردويه وأبو نعيم..

[2] - رواه مسلم في صحيحه.

ويبقى باب النسخ من أكبر الأبواب الخلافية وأكثرها إثارةً للجدل بين العلماء؛ سابقيهم ولاحقيهم.

من أهم ما كُتب في الناسخ والمنسوخ:

* الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم؛ لأبي عبيد القاسم بن سلّام.

*معرفة الناسخ والمنسوخ؛ للإمام محمد بن حزم (وهو ليس الإمام ابن حزم الظاهري).

*كتاب الناسخ والمنسوخ؛ لأبي جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس المرادي النحوي.

* الناسخ والمنسوخ، للإمام هبة الله بن سلامة الضرير.

* الإيضاح في الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم؛ لمكي ابن أبي طالب.

*الآيات المنسوخة في القرآن الكريم؛ لعبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي.

المحكم والمتشابه:

أما المحكم فهو ما عُرف المراد منه، وقيل الذي لا يحتمل إلا معنى واحد، وقيل هو ما استقل بالمعنى ولم يكن محتاجًا لبيان ولا توضيح.

وعليه فإن المتشابه هو ما استأثر الله بعلمه، وقيل هو ما احتمل أكثر من معنى، وقيل هو ما احتاج لبيان بردِّه إلى غيره.

أما قوله: "الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ"[1] فمعناه أنه كتابٌ متقن، محكم اللفظ، لا خلل فيه.

وأما قوله: "ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ "[2] فمعناه أن القرآن متشابه في النظم فلا تجد أسلوبًا بليغًا وأسلوبًا نازلًا، بل كله بلغ حد البلاغة وذروة الفصاحة، كما

[1] - هود 1.
[2] - الزمر 23.

أن آياته تتشابه فيما تدعو إليه من قيم سامية وآداب نبيلة وأخلاق رفيعة.

وأما قوله: " هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ "[1] فمعناه أن الآيات المحكمة هي أم الكتاب؛ أي أن هذه الآيات جماع الكتاب وأصله، لا غموض فيها ولا التباس، كآيات الحلال والحرام التي هي أصل التشريع، بخلاف الآيات المتشابهة التي تختلف فيها الدلالة على كثير من الناس، فمن رد المتشابه إلى المحكم الواضح فقد اهتدى.

ومن أمثلة المتشابه في القرآن قوله تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا "[2]، فهي تحتمل معنيين؛ الأول: أنَّ الله يغفرُ الذنوب جميعًا دون قيدٍ أو شرط، والثاني: أن تلك المغفرة

[1] - آل عمران 7.
[2] - الزمر 53.

مقيَّدة بالتوبة، ولترجيح كفةٍ على الأخرى نلجأ للمحكم؛ يقول تعالى: " **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا** "[1]، وهذا ما يجعل الاحتمال الأول مرفوضًا والاحتمال الثاني مرجوحًا.

وأيضًا من المتشابه صفات الله مثل الاستواء على العرش، فهي معلومة في معناها، ولكن الكيف غير معلوم، كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مرفوع، والسؤال عنه بدعة. أي معنى الاستواء معلوم، ونثبت له كيفية، لكننا لا نعلمها، فصفات الله منزّهة عن الكيف والسؤال.

ونخلص من هذا إلى أن الآيات المحكمات قطعية الدلالة، لا تحتمل اجتهادًا، وهي المتعلقة بأصول العقائد والأحكام والحلال والحرام؛ لذلك لا يختلف اثنان في آية محكمة، لكن الآيات ظنية الدلالة، إذا اجتهد فيها المجتهدون واختلفوا فاختلافهم اختلاف رحمة وتنوع وغنى، وليس اختلاف تضاد.

---

[1] - طه 82.

إعجاز القرآن:

ما من نبيٍّ أرسله الله تعالى إلى قومٍ إلا ومعه ما يؤيِّد نبوته ويشهد برسالته؛ وهو معجزة باهرة تدفع المرسل إليهم لتصديق رسولهم، وتقطع عنهم كل سبيلٍ للكفر والتكذيب، فكانت الناقة التي خرجت من الصخر معجزة صالح لقومه، وكانت النار التي لم تحرق إبراهيم معجزته لقومه، والعصا وشق البحر وغيرها معجزات موسى لقومه، وشفاء المرضى وخلق الطير من الطين معجزات السيد المسيح لقومه، وهكذا كانت لكل نبيٍّ معجزته.

لكن هذه المعجزات كلها تعوزها المعاينة والمشاهدة، أما الإسلام فلأنه الدعوة العامة للأمم كافَّة فكان بحاجة إلى معجزة أشد إبهارًا وأعظم أثرًا، كان بحاجة إلى معجزة خالدة باقية، لا يرويها من رآها لمن لم يرَ، وإنما يعاينها كلُّ امرئٍ بأمِّ عينه في كل مكانٍ وزمان.

ولإعجاز القرآن وجوه عديدة فصَّلها العلماء؛ فمنها إعجازه الزماني؛ بحيث كان يخترق حاجز الزمان الماضي ليروي قصص السابقين وأخبار الأولين، ثم لا يلبث أن يخترق حاجز المستقبل فيروي لهم ما سيقع في صراعات الروم والفرس وغيرها، ومنها إعجازه المكاني؛ إذ قصَّ عليهم آثار الأمم المختلفة في مصر والشام وبيت المقدس وغيرها، ومنها إعجازه العلمي الذي تتكشَّف آياته إلى اليوم الآية تلو الأخرى، لكن يبقى الوجه الأهم في إعجاز القرآن هو إعجازه البلاغي وبناء حروفه وكلماته وجمله وآياته وسوره في تناسق لغوي بديع يتحدى به الله أصحاب البلاغة والفصاحة ومن برعوا في سبك الحروف حتى صارت لهم أسواق أدبية ومسابقات شعرية يتبارون فيها على أعين الأشهاد بفصاحتهم وبلاغتهم، لكنهم في النهاية عجزوا عن تحدي الله لهم إذ قال:" قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا

يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا "[1]، والتحدي هنا ليس للإنس فقط، بل لكل المخلوقات من إنسٍ وجنٍّ مجتمعين متعاونين أن يأتوا بقرآنٍ مثله، وإمعانًا في التحدي يطالبهم بالإتيان بعشر سورٍ فقط: "قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ "[2]، ثم يبلغ التحدي ذروته حينما يجعل الله حدَّ التحدي سورة واحدة: "فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ "[3]، ومعنى قوله سورة واحدة أي كأي سورة واحدة، فلا يلزم أن يأتوا بسورة كسورة البقرة، بل سورة حتى ولو كانت ثلاث آيات كالكوثر! ورغم ذلك لم يستطيعوا.

وتلاحظ في كل آيات التحدي أن الله يتحداهم حتى وإن استعانوا بمن شاءوا الاستعانة بهم إنسًا أو جنًّا.

---

[1]- الإسراء 88

[2] - هود 13.

[3] - سورة البقرة 23.

بعض محاولات تقليد القرآن:

وقد تصدى غير واحد ممن غرَّتهم أنفسهم الخبيثة وظنوا في نفوسهم القدرة على تأليف كلامًا يُقارن بكلام الله المعجز ومن أشهر هؤلاء:

مسيلمة الكذَّاب:

وهو مسيلمة بن حبيب الحنفي، وقد غلب وصفه على اسمه فأصبح مسيلمة الكذَّاب؛ ويُعدُّ كذَّاب اليمامة أول من ادَّعى النبوة وكان ذلك في زمن رسول الله ﷺ، وقد زعم أنَّ الله أرسله وأنَّ قرآنًا يتنزَّل عليه، ومن جملة ما قال:

- والـمُبذرات زرعًا، والحاصدات حصدًا، والذاريات قمحًا، والطاحنات طحنًا، والعاجنات عجنًا، والخابزات خبزًا، والثاردات ثردًا، واللاقمات لقمًا، إهالةً وسمنًا، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه، والمعتر فآووه، والباغي فناوئوه.

- والشـاء وألوانهـا، وأعجبهـا السـود وألبانهـا، والشـاة السوداء، واللبن الأبيض، إنه لعجب محض، وقد حرم المَذق فما لكم لا تمجعون.

- الفيل، ما الفيل، وما أدراك ما الفيل، له ذَنَبٌ وبيل، وخرطوم طويل.

- يا ضفدع بنت ضفدعين، نقي ما تنقين، نصفك في الماء ونصفك في الطين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين.

- إن بني تميم قوم طهر لقاح، لا مكروه عليهم ولا إتاوة، نجاورهم ما حيينا بإحسان، نمنعهم من كل إنسان، فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن.

- والليل الدامس، والذئب الهامس، ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس.

- إنا أعطيناك الكواثر، فصل لربك وبادر، في الليالي الغوادر.

- ألم تـر كيـف فعـل ربـك بـالحبلى، أخـرج منهـا نسـمة تسعى، ما بين صفاق وحَشا.

وقـد تـزوَّج مسيلمة مـن مدَّعيـة أخـرى وهـي سـجاح، الـتى ادَّعت النبوة ولم تدَّعِ قرآنًا، لكنها لم تلبث أن تركته، وقيل إنها أسلمت وحسُن إسلامها.

طليحة بن خويلد الأسدي:

وقد قدم على النبي ﷺ في وفد أسد بن خزيمة سنة تسع، فأسلموا، ثم لما رجعوا، تنبّأ طليحة، وعظم أمره بعد أن توفي رسول الله ﷺ. ومن قرآنه المزعوم:

- إنّ الله لا يصـنع بتعفـير وجـوهكم وقـبح أدبـاركم شـيئًا، فـاذكروا الله قيامًـا، فإنّ الرغـوة فـوق الصـريح. (يقصـد الصـلاة قيامًا دون ركوعٍ أو سجود).

- والحمـام واليَمـام، والصّـرد الصـوام، ليبلـغ ملكنـا العـراق والشام.

الأسود العنسي:

وكان رجلًا فصيحًا معروفًا بالفصاحة والكهانة، والسجع، والخطابة، والشعر، والنسب.

وقد تنبّأ على عهد النبي ﷺ وخرج باليمن ومن جملة ما قال محاولًا معارضة القرآن:

- سبّح اسم ربّك الأعلى، الذي يسّر على الحبلى، فأخرج منا نسمةً تسعى، من بين أضلاع وحشا، فمنهم من يموت ويدسّ في الثرى، ومنهم من يعيش ويبقى.

المتنبِّي:

وهو شاعر العربية الشهير، وربما أشعر شعرائها، وقد تكون فصاحته هي ما أغرته على الإقدام على قبول تحدِّي القرآن؛ فقد أورد أبو العلاء المعري في رسالة الغفران أنه ادَّعى النبوة في حداثته -ولعلَّ هذا ما جعل له الاسم الذي اشتُهر به- وقد روى صاحب الغفران أنه ادَّعى قرآنًا فقال:

– والـنجم السـيَّار، والفلـك الـدوَّار، والليـل والنهـار، إن الكافر لفي أخطار، امضِ على سُنَّتِك، واقْفُ أثر من قبلك من المرسلين؛ فإن الله قامع بك زيغَ من ألحد في دينه، وضل عن سبيله.

وقد جَهَدَ الرافعي في إعجاز القرآن في ردَّ نسبة هذا الكلام إلى المتنبي، ولو صح فهو لا يعدو خاطرة شاعر متأثِّر بالقرآن.

أبو العلاء المعرِّي:

وهو الأديب المعروف، وقد أورد الرافعي في كتابه إعجاز القرآن أن قومًا زعموا أن المعرِّي صنَّف كتابًا في هذا الغرض أسماه: (الفصول والغايات، في مجاراة السور والآيات) ومنه:

– أقسم بخالق الخيل، والريح الهابَّة بلَيل، بين الشرط مطلع سُهَيل، إن الكافر لطويل الويل، وإن العمر لمكفوف الذيل، تَعَدّ مدارج السيل، وطالع التوبة من قبَيل، تنجُ وما إخالك بناجٍ.

وقد ردَّ الرافعي ذلك جازمًا أنَّ ذلك القول منحولٌ على المعري مفترى عليه، فهو عينه الذي أنكر على مدَّعي النبوة مجاراة القرآن ومباراة آياته؛ لأنه على حدِّ وصفه: كتاب بَهَرَ بالإعجاز، فكيف به بعد ذلك يعود ليقع فيما انتقد فيه غيره، وقد زعم آخرون الزعم نفسه على ابن المقفع.

وقد قال الزرقاني : ويَروي التاريخ أن أبا العلاء المعري وأبا الطيب المتنبي وابن المقفع حَدَثتهم نفوسهم مرّة أن يُعارضوا القرآن، فما كادوا يبدءون هذه المحاولة حتى انتهوا منها بتكسير أقلامهم، وتمزيق صُحفهم؛ لأنهم لَمَسُوا بأنفسهم وعورة الطريق واستحالة المحاولة.

الصفي والمهدي:

وحتى في زماننا الحاضر اجتهد أصحاب النفوس الخاوية في تأليف قرآنٍ من عند ذواتهم مدَّعين أنه يساوي ما نزل من عند الله، ومنهم هذا الذي جبُن عن تعريف نفسه، واكتفى

بالإشارة إلى نفسه بالصفي والمهدي، ففي الولايات المتحدة عام 1999 نشر ذلك الشخص مجهول الهوية كتابًا بالعربية والإنجليزية بعنوان: (الفرقان الحق)، وقد تضمَّن هذا الفرقان المفترى سورًا مزعومة وكأنه مصحفٌ كامل، ولم يتحرَّج صاحبه أن يسمِّي بعض سوره بأسماء بعض سور القرآن، وقد ادَّعى في مقدمته أن الرب قد أنزل هذا الكتاب لكل من على الأرض أيًّا كان دينه، حتى إنه أطلق عليه مثلث الأديان أو كتاب السلام!

وهو يبدأ فرقانه –أو قل ضلاله– بالبسملة:

بسم الآب الكلمة الروح الإله الواحد الأوحد * مثلث التوحيد موحد التثليث ما تعدد * فهو آبٌ لم يلد *كلمةٌ لم يولد * روحٌ لم يُفرد * خلَّاقٌ لم يُخلق * فسبحان مالك الملك والقوة والمجدِ، من أزل الأزل إلى أبد الأبدِ.

ومن جملة افتراءاته ما أسماه سورة الأنبياء:

- باسم الآب الكلمة الروح الإله الواحد الأوحد * يا أيها الذين كفروا من عبادنا الضالين إنكم لتقولون قولا لَغْوًا ما كان شعرًا ولا نثرًا ولا قولًا سديدًا * إنْ هو إلا لغوٌ مردَّدٌ ترديدًا * يرغِّب التابعين ترغيبًا ويهدد المعرضين تهديدًا * حَسُنَ وقعًا فى نفوس عبادنا الضالين واستمرأه الجاهلون * سمٌّ فى دسمٍ ولكن أكثرهم لا يشعرون فلا يَبْغُون عنه محيدًا * وحذرنا عبادنا المؤمنين من الرسل الأفاكين * فمن ثمارهم يُعْرَفون * فهل يُجْنَى من الشوكِ العنبُ أو من الحَسَكِ التين.

ولسنا في حاجة لنذكر أن كتابًا كهذا لم يجد صدًى ولم يلقَ قبولًا بين جميع الأوساط، حتى أنَّ أحدًا يكاد لا يسمع به، وعلى الرغم من إخفاق كل من حاول معارضة كتاب الله الكريم إلا إن هذه المحاولات لم تتوقف وربما لن تتوقف، لكنها لن تجد الثمرة التي يرجوها أصحابها؛ ذلك لأن كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه، أما هذه المحاولات فشوهاء جوفاء

فارغة المضمون، لا تسمن ولا تُغني من جوع، يسمعها السامع فلا يقابلها إلا بالسخرية والاستهزاء، أما كلام الله فلا تملك معه إلا الإنصات بأذنٍ واعية وقلبٍ خاشع؛ إذا تحيطها هالة من القدسية لا يدانيها في ذلك أي نص أدبي مهما عظم شأن صاحبه.

ولا ننكر أنَّ تلك الترَّهات التي جاء بها هؤلاء الأفَّاكون قد أسدت إلى الدين معروفًا؛ إذ إنها إذا قورنت بكلام الله –إن جازت لنا المقارنة– فإنها دليلٌ دامغٌ على أن القرآن ليس بقول بشر ولا في وسع البشر الإتيان بمثله.

وقد قال أبو بكر الباقلاني رحمه الله: "فأما كلام مسيلمة الكذَّاب وما زعم أنه قرآن فهو أخس من أن ننشغل به وأسخف من أن نفكر فيه، وإنما نقلنا منه طرفًا ليتعجب القارئ وليتبصر الناظر، فإنه على سخافته قد أضلَّ، وعلى ركاكته قد أزلَّ، وميدان الجهل واسع".

خلق القرآن:

معناه: هو فكرٌ انتشر في عهد الخليفة المأمون من قِبَل المعتزلة، يدَّعون أن القرآن مخلوق، وليس كلام الله المنزَّل على نبيه محمد ﷺ كما يؤمن المسلمون.

واقتنع بهذا الرأي الخليفة المأمون وطالب بنشر هذا الفكر وعزل أي قاضٍ لا يؤمن به، وهو ما لقي معارضة واستهجان كثيرٍ من الأئمة مثل الإمام أحمد بن حنبل والذي تحمَّل من أجل ذلك الكثير من التعذيب حتى قام الخليفة المتوكل بإنهاء هذه المحنة وأفرج عنه.

حكمه: القول بخلق القرآن يخرج من الملة على مذهب أهل السنة والجماعة؛ ذلك لأن الله أثبت لنفسه صفة الكلام وهم ينكرونها عليه، بل وحرفوا قوله تعالى: "وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا "[1] فقرءوها بفتح لفظ الجلالة ليكون مفعولًا؛

---

[1] - النساء 164.

فيكون المعنى بذلك أن موسى هو الذي كلَّم الله تكليمًا فيكون فعل الكلام قد وقع من موسى ولم يقع من الله في زعمهم، فهم بذلك عطَّلوا صفةً من صفات الله.

أدلة كونه غير مخلوق: والأدلة النقلية كثيرة منها قوله تعالى: "**أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ**"[1]، فالخلق: خلق الله، والأمر: القرآن، وقد فرَّق الله بينهما ليدل على أن القرآن غير مخلوق، أما الدليل العقلي فالكلام صفة للمتكلم به، فإن كان المتكلم به هو الله والله غير مخلوق فإنَّ صفاته أيضًا غير مخلوقة.

أول من قال به: الجَعدُ بنُ دِرهَمٍ ، وكان قد درس على يد التابعي وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، وكان يسأله كثيرًا عن صفات الله، فكان وهب يقول له: يَا جَعْدُ، وَيْلَكَ! أَنْقِصْ مِنَ الْمَسْأَلَةِ، إِنِّي لأَظُنُّكَ مِنَ الْهَالِكِينَ، لَوْ لَمْ يُخْبِرْنَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّ لَهُ يَدًا مَا قُلْنَا ذَلِكَ، وَأَنَّ لَهُ عَيْنًا مَا قُلْنَا ذَلِكَ.

---

[1] - الأعراف 54.

وكان الجعد أول من تفوَّه بأن الله لا يتكلَّم، بل وأكثر من ذلك، حتى قتله خالد بن عبد الله الْقَسْرِيَّ والي الكوفة صبيحة يوم النحر وقال: ضَحُّوا يَقْبَلِ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ، فَإِنِّي مضحٍ بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ؛ إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا، وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا، ثم نزل فقتله، وكان ذلك 105هـ.

وقد صحبه الجَهْمُ بنُ صَفْوَان وتأثر به؛ فأنشأ فرقة الجهمية التي تابعت المعتزلة في اعتقادها بخلق القرآن.

المعتزلة: وهي فرقة كلامية نشأت بالبصرة على يد واصل بن عطاء المتوفى 131هـ، وقد تبنَّت هذه الفرقة القول بخلق القرآن؛ فقالوا إن القرآن كلام الله لكنه ليس صفةً لذاته إنما صفة لفعله، فهو مخلوق.

حجتهم: واحتجوا لذلك بقولهم: إذا كان كلام الله أزليًّا وغير مخلوق والمسيح كلمة الله فهو غير مخلوق وهو إله!

رد شبهتهم: وأجاب أحمد وغيره على هذه الشبهة: أن المسيح نفسه ليس هو كلامًا، فإن المسيح إنسان وبشر مولود من امرأة، وكلام الله ليس بإنسان ولا بشر ولا مولود من امرأة، ولكن المسيح خلق بالكلام (بقوله تعالى: كن، بغير السُّنة المعروفة بين البشر باجتماع رجل وامرأة)، وأما القرآن فهو نفسه كلام الله فأين هذا من هذا ؟

أحمد بن أبي دؤاد: كان يحضر مجالس المأمون للجدل والمناظرة فأعجب المأمون بمنطقه وعينه قاضي القضاة، وكان من القائلين بخلق القرآن، بل واستطاع أن يقنع بها المأمون ثم المعتصم والواثق من بعده، ودفع المأمون إلى حمل الناس على الاعتقاد بخلق القرآن.

عبد الله المأمون بن هارون الرشيد: رغم أن الفكرة بدأت على يد الجعد بن درهم ثم تبنتها المعتزلة في العصر الأموي إلا أنها لم تزدهر إلا على يد الخليفة العباسي المأمون

الذي تولى الخلافة 218هـ، كان مولعًا بالفلسفة، وقد جرَّه ذلك للقول بخلق القرآن، وقد تأثَّر كثيرًا بآراء أحمد بن أبي دؤاد، الذي أشار عليه بإظهار القول بخلق القرآن وإلزام الناس به، فسعى لفرض هذا الاعتقاد على عموم المسلمين، فأجابه أكثر العلماء كارهين خائفين؛ فمن كان يأبى كان يُعزَل أو يسجن أو يقتل، وقد اشتعلت الفتنة في العراق وحُبس وقُتل فيها خلقٌ كثير.

أحمد بن حنبل: قيل إن أربعة فقط من العلماء قد رفضوا القول بخلق القرآن: أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح واثنان آخران لم يثبتا على رأيهما، فلم يبقَ غير أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح، فاستدعاهما المأمون، فمات محمد بن نوح في الطريق، ودعا الإمام أحمد الله أن يكفيه المأمون، فمات قبل أن يصل إليه الإمام أحمد، وتولَّى بعده أخوه المعتصم وكان على مذهبه في القول بخلق القرآن، فأمر بسجن الإمام أحمد

وضربه بالسوط، وأحضر له من يناظره، فناظرهم وقارعهم الحجة بالحجة وحاجهم جميعًا، فقال الناس إن ابن حنبل قد غلب خليفتين، فأخذ العناد برأس المعتصم فحبس الإمام وبالغ في تعذيبه، فكانوا يضربونه حتى يغيب عن الوعي، ولـمَّا توفى الله المعتصم تولَّى بعده ابنه الواثق وكان على مذهب أبيه وعمه، لكنه لم يتعرض للإمام أحمد بن حنبل بأذى، غير أنه نهاه عن الاجتماع بأحد، فانقطع عن التحديث خمس سنوات مدة حكم الواثق، ولم يره أحدٌ لا في صلاة ولا غيره، وتولَّى بعده المتوكل الذي رفع هذه المحنة عن الناس؛ إذ كان على مذهب أهل السنة والجماعة، فكتب إلى الآفاق أن لا يتكلم أحد في القول بخلق القرآن، واستدعى الإمام أحمد وبالغ في إكرامه.

ويجدر بالذكر أن الإمام أحمد لم يكن الوحيد الذي تعرَّض لهذه الفتنة، بل تعرَّض لها كثيرٌ غيره.

رفع القرآن:

((عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يَدْرُسُ[1] الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ[2]، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا " فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ» ثَلَاثًا))[3].

[1] - درس الشيء أي عفا وهلك.
[2] - وشي الثوب: زينته
[3] - رواه ابن ماجه في سننه وصححه الألباني.

ورفع القرآن من علامات القيامة الكبرى، قيل إنه يُرفع قبل شروق الشمس من مغربها، وقيل إنه يُنزع بقبض العلماء وعامة المؤمنين حين لا يبقى على الأرض إلا شرار الناس ممن تقوم عليهم الساعة.

عن ابن مسعود أنه قال: " لَيُنْتَزَعَنَّ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ "، قَالَ(شَدَّادُ بْنِ مَعْقِلٍ): قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، كَيْفَ يُنْتَزَعُ، وَقَدْ أَثْبَتْنَاهُ فِي صُدُورِنَا وَأَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا؟ قَالَ: " يُسْرَى عَلَيْهِ فِي لَيْلَةٍ، فَلا يَبْقَى فِي قَلْبِ عَبْدٍ مِنْهُ وَلا مُصْحَفٍ مِنْهُ شَيءٌ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ فُقَرَاءَ كَالْبَهَائِمِ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: " وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ "[1] "[2].

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: "فإنه يسرى به فى آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى فى الصدور منه كلمة، ولا فى المصاحف منه حرف".

[1] - الإسراء 86.
[2] - رواه الطبراني في معجمه الكبير، وصححه ابن حجر والألباني.

فضل القرآن:

أمر الله سبحانه وتعالى عباده بتلاوة القرآن إذ قال: "وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا "[1]، وقد مدح الله قارئيه إذ قال: " إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ "[2].

وقد شبَّه رسول الله ﷺ قارئ القرآن بالأُتْرُجَّة؛ وهي ثمرة تشبه البرتقالة، طيبة الريح وحلوة الطعم فعن أبي موسى الأشعري أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَثَلُ المؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ

[1] - المزَّمِّل 4.
[2] - فاطر 29-30.

وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»[1].

وقراءة القرآن تنزل السكينة على قلب من يقرؤه، بل وأعظم من ذلك أن الله يذكر من يقرأ القرآن في ملأٍ عنده، يقول رسول الله ﷺ: «.. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ.. »[2].

أمَّا عن تحصيل الأجر وإدراك الثواب بقراءة القرآن فقد أشار النبي ﷺ إليه في قوله: « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أقول: {ألم} حَرفٌ، وَلكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[3].

---

[1] - رواه البخاري.
[2] - رواه مسلم.
[3] - رواه الترمذي.

وقد جعل الله قرَّاء القرآن بمثابة أهله وخاصته؛ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ» . قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»[1].

ومنزلة قارئ القرآن تتحدد بقدر ما تلا من القرآن؛ يقول النبي الكريم ﷺ: « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»[2].

وحتى من يقرأ القرآن وهو شاقٌّ عليه، ولا يقرؤه على الوجه الأمثل؛ لجهلٍ ألَمَّ به فله أجر محاولة قراءته وتحمُّل مشقته، فقد روت السيدة عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ»[3].

---

[1] - رواه ابن ماجه وصححه الألباني.
[2] - رواه الترمذي وأبو داود.
[3] - متفقٌ عليه.

وتعليم القرآن أجلُّ ما قد يشتغل به المرء؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[1].

والقرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة؛ قال رسول الله ﷺ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ فَيُشَفَّعَانِ»[2].

وأكثر من ذلك، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ فَيَرْضَى عَنْهُ فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً»[3].

---

[1] - رواه البخاري

[2] - رواه أحمد وصححه الحاكم على شرط مسلم.

[3] - رواه الترمذي وحسّنه.

خاتمة

ولعل ما يجدر الختام به هو التأكيد على أن القرآن هو رسالة الله لعباده، فكل أمرٍ في القرآن موجهٌ لك، وكلُّ نهيٍّ فيه هو لك، فتفاعل وتجاوب معه؛ فعَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَوْقَ بَيْتِهِ، فَكَانَ إِذَا قَرَأَ: "أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ"[1]، قَالَ : سُبْحَانَكَ فَبَلَى ، فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"[2]، فكان ﷺ يتفاعل مع آيات القرآن باعتبارها خطابًا ورسالة من الله وليس نصًّا جامدًا لا حياة فيه ولاروح.

وقف -وأنت تقرأ؛ تاليًا أو مصلِّيًا إمامًا أو مأمومًا في فرضٍ أو نافلة- قف أمام آيات الرحمة واسأل الله رحمته وأمام

---

[1] - القيامة 40.

[2] - رواه البيهقي وأبو داود.

آيات العذاب وتعوَّذ بالله منه، فَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ "قُمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً فَقَامَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ.."[1]، فذلك أحضر للقلب وأبلغ في التدبر، رزقنا الله الخشوع في تلاوته والفهم في تدبُّرِه والإخلاص في العمل به وشفاعته يوم القيامة،

---

[1] ـ رواه أبو داود والنسائي.

أهم المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

الكتاب: صحيح البخاري.

المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري.

الكتاب: صحيح مسلم.

المؤلف: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.

الكتاب: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.

المؤلف: النووي.

الكتاب: مسند الإمام أحمد بن حنبل.

المؤلف: أحمد بن حنبل.

الكتاب: موطأ الإمام مالك.

المؤلف: مالك بن أنس.

الكتاب: الجامع الصحيح سنن الترمذي.

المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي.

الكتاب: سنن النسائي الكبرى.

المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي.

الكتاب: سنن أبي داود.

المؤلف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني.

الكتاب: سنن ابن ماجه.

المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني.

الكتاب: كتاب المصاحف.

المؤلف: أبو بكر بن أبي داود، الأزدي السجستاني.

الكتاب: المقنع في رسم مصاحف الأمصار.

المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني.

الكتاب: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.

المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي.

الكتاب: السيرة الحلبية(إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون).

المؤلف: علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي.

الكتاب: تاريخ القرآن الكريم.

المؤلف: محمد طاهر بن عبد القادر الكردي.

الكتاب: نزول القران الكريم وتاريخه وما يتعلق به.

المؤلف: الدكتور محمد عمر حويه.

الكتاب : جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين.

المؤلف : فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي.

الكتاب: عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل.

المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن البناء المراكشي.

الكتاب : تنزيل القرآن.

المؤلف : ابن شهاب الزهري.

الكتاب: الجامع لأحكام القرآن.

المؤلف: محمد بن أحمد القرطبي.

الكتاب: أحكام القرآن.

المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي.

الكتاب: أسرار التكرار في القرآن.

المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني.

الكتاب: أصول في التفسير.

المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين.

الكتاب: الدر المنثور.

المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي.

الكتاب: أسرار ترتيب القرآن.

المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي.

الكتاب: الإتقان في علوم القرآن.

المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي.

الكتاب: البرهان في علوم القرآن.

المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي.

الكتاب: فنون الأفنان في عيون علوم القرآن.

المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي.

الكتاب: مناهل العرفان في علوم القرآن.

المؤلف: محمد عبد العظيم الزرقاني.

الكتاب: مباحث في علوم القرآن.

المؤلف: مناع بن خليل القطان.

الكتاب: الواضح في علوم القرآن.

المؤلف: مصطفى ديب البغا.

الكتاب: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز.

المؤلف: عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة.

الكتاب: دراسات في علوم القرآن الكريم.

المؤلف: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي.

الكتاب: دراسات في علوم القرآن.

المؤلف: محمد بكر إسماعيل.

الكتاب: مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن.

المؤلف: عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد.

الكتاب: المكي والمدني.

المؤلف: محمد شفاعت رباني.

الكتاب: شرح (مقدمة التفسير) لابن تيمية.

المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين.

الكتاب: إعجاز القرآن.

المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب.

الكتاب: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.

المؤلف: مصطفى صادق الرافعي.

الكتاب: الأحرف السبعة للقرآن.

المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني.

الكتاب: اللغات في القرآن.

المؤلف: عبد الله بن الحسين بن حسنون، أبو أحمد السامري.

الكتاب: لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم.

المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلاّم البغدادي.

الكتاب: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته.

المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر.

الكتاب: جمال القراء وكمال الإقراء.

المؤلف: علي بن محمد بن عبد الصمد، علم الدين السخاوي.

الكتاب : الموسوعة القرآنية.

المؤلف: إبراهيم الإبيارى.

الكتاب: أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن.

المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد، ابن هشام.

الكتاب: الجدول في إعراب القرآن الكريم.

المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي.

الكتاب: مجموع الفتاوى.

المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

فهرس

وقد مرَّ القرآن الكريم بمراحل مختلفة حتى يصل إلى أيدينا على هذا النحو؛ بدءًا من مشافهة أمين الوحي جبريل رسول الله محمدًا صلى الله عليه وسلم بآيةٍ تلو آيةٍ منجَّمة حسبما يقتضي الحال، مرورًا بنسخ بعض تلك الآيات ما بين الرسم تارة والحكم تارة وكليهما تارة أخرى، حتى استقرَّ النص القرآني على تمامه وكماله بالعرضة الأخيرة التى عارض فيها جبريل محمدًا صلى الله عليه وسلم بالقرآن تامًا كاملًا.